تاريخ مدينة تيهرت الأثرية

✍ د. قوزية سعاد بوجلابة
أستاذ محاضر صنف ب علم الآثار
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص

تزخر تاهرت بتراث ثقافي غني ومتنوع، ويحتوي الجانب المادي من هذا التراث على أشكال متعددة تنم عن تاريخ عميق وعن تنوع جغرافي ساهم بشكل كبير في تأقلم المجموعات البشرية. حيث تعود أقدم مظاهر الاستيطان البشري بتاهرت إلى أزيد من مليون سنة كما تبين ذلك الأدوات الحجرية المستخرجة من مواقع عديدة في المنطقة، واستمر هذا الاستيطان خلال المراحل اللاحقة في فترة ما قبل التاريخ إلى غاية ظهور أولى الممالك البربرية والرومانية وما خلفته هذه الحضارات القديمة من أثار مادية كالأجدار التي تعتبر تحفة فنية جد مميزة في تاريخ شمال إفريقيا، وقد أسفرت الحفريات الأثرية المنجزة بهذا الموقع على استخراج تراث منقول غني جدا يشهد على عظمة وروعة هذه الثقافات المادية .

ومع ظهور الإسلام تعاقبت على تيهرت دولا كبيرة أهمها الدولة الرستمية التي تركت آثارا مادية تتباهى بها تاهرت اليوم.

الكلمات المفتاحية: تيهرت، معالم أثرية، الاجدار، تاقدمت.

Résume :

La région de Tiaret a été habitée des la plus haute antiquité.De nombreux vestiges des plus anciennes industries humaines، depuis les grossiers « coups de poing » du Paléolithique inferieur، jusqu'aux élégantes et fragiles pointes de silex du Néolithique récent si habilement taillées، se rencontrent tout autour de la ville. Aussi lorsque le fameux

conquérant Okba Ben Naffe envahit l'Ifrikia، fut-il facilement victorieux.En 683 après avoir fonde Kairouan، il marcha sur Tiaret qui، aux dires des historiens، fut la seule place a offrir quelque résistance. Au VIIIe siècle، fuyant devant les Orthodoxes musulmans، Ibn Rustom، se réfugie dans la région. Il est accueilli par les tribus locales، et il est nommé Imam et fonde Tihert la neuve.Au cours du X eme siècle، Tiaret tombe tour a tour au pouvoir des Omeyyades d'Espagne et des Fatimides.

Mots clés : Tihert، vestiges، histoires، djeddar، tagdempt.

مقدمة:

تعتبر مدينة تيارت أو تيهرت من بين المدن التاريخية التي كان لها حضور متميز وتأثير جعلها تملك ماضيا تاريخيا هاما إلى جانب موقعها الجغرافي الهام، كما أنها كانت أول عاصمة للمغرب الأوسط حيث إزدهر خلالها الفكر وأخصبت الحضارة تطور العمران، وشدت العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة.لكن قلة الأبحاث الأثرية في الوقت الراهن جعل المنطقة في طي النسيان والتهميش، وكل الدراسات الموجودة كانت في الفترة الاستعمارية، وهنا يتوجب علينا إعادة النظر في المعطيات الموجودة وإعادة الإعتبار إلى هذه المنطقة التاريخية والأثرية، ومن هذا المنطلق لابد بالتعريف بمدينة تيهرت تاريخيا وجغرافيا مع ابراز أهم معالمها الأثرية.

وعليه اعتمدنا على المنهج التاريخي قصد استقراء وجمع المعطيات التاريخية والجغرافية للمنطقة، والمنهج الوصفي من أجل رصد أهم المعالم الأثرية في المدينة ووصفها.

تكمن أهمية الدراسة في قلة الأبحاث الأثرية والتاريخية في المنطقة وإهمال ما تحتويه من أثار مادية تنم على تنوع وعمق حضاري، كما يعد هذا البحث خطوة أولى في التعريف بجزء من معالم المدينة.

اعتمدت على مجموعة من المصادر المادية، والتوثيقية لإنجاز البحث، تتمثل المصادر المادية في بعض المعالم الأثرية المختارة، أمّا المصادر التوثيقية فقد اعتمدت على المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، ياقوت الحموي، معجم البلدان، عبد المنعم الحميري محمد، روض المعطار في خبر الأقطار، السيد عبد العزيز سالم،

المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، و رابح بلحسن،أضرحة الملوك النوميد والمور وغيرهم...

لقد قسمت البحث إلى مجموعة من العناصر، تناولت في الجزء الأوّل تقديم مدينة تيهرت جغرافيا ووصفها من خلال المصادر القديمة، والجزء الثاني جاء فيه التعريف بالمدينة تاريخيا،أمّا الجزء الثالث فجاء فيه ذكر بعض المعالم الأثرية الموجودة في المنطقة، وأخيرا الخاتمة.

I- الموقع الجغرافي و الفلكي:

تقع تاهرت في الجهة الغربية من التل الجزئري، إذ تحتل موقعا هاما في مدخل عنق قرطوفة، وتعتبر إحدى عواصم الهضاب العليا تبعد عن العاصمة بحوالي 340 كلم . وتمتاز بوجود سلسلة جبلية تعرف باسم مرتفعات تيارت، و هي محصورة ما بين 1000م -1200م على مستوى البحر، أمّا فلكيا فتقع تاهرت في الإقليم الربع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة[1]، فهي بذلك تتوسط التل والصحراء، إذ فيها من التل خصبه ولطافة جوّه، ومن الصحراء جوّها الصحي ومناخها شبه الجاف، كما أنّ موقعها بين جبال الأطلس وبلاد التل الخصبة جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربعة، فلا هي متطرفة جنوبا ولا شمالا، بالإضافة إلى أنّ موقعها الجغرافي جعلها تتوسط المغرب الأقصى والمغرب الأدنى[2].



الخارطة رقم 3: توضح موقع مدينة تيارت

المناخ:

تعد تيهرت مدينة كثيرة الأنواء والضباب والأمطار حتى أن الشمس قل أن ترى بها، ودخلها أعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج إلى أرض السودان فأتى عليه وهج وحر شديد وسموم في تلك الرمال فنظر إلى الشمس وقال :"أما والله لأن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت وأنشد:

ما خلـق الله من طرفـــة ...... أسهى من الشمس بتاهرت(3)

II- وصف مدينة تيهرت في القديم:

وقد وصفها اليعقوبي قائلا: "...والمدينة العظيمة تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب، لها أخلاط من الناس تغلب عليهم قوم من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارس[(4)] ...."

أمّا المقديسي وصفها قائلا: "...تاهرت اسم القصبة وهي بلح المغرب، قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها الأعين وجل بها الإقليم، وانتعش فيها الغريب، واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق وأخطؤا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا، هو بلد كثير الخير رحب، رفق، طيب، رشيق الأسواق، غزير المياه جيد الأهل، قديم الوضع، محكم الوصف، عجيب الوصف..."[(5)]

وقد جاء وصفها في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار للمراكشي أنّها: " تيهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة، عليها سور صخر ولها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة، وهي في سفح جبل يسمى قرقل، وهو على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب يسمى مينة، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس، تشرب منه أرضها

وبساتينها، وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة..." [6]، كما وصفها ياقوت الحموي قائلا:"....وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب، باب الصفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن، وهي على سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق، تسمى المعصومة، وهذه تاهرت الحديثة، وهي على خمسة أميال من تاهرت القديمة، ويقال أنّهم لما أرادوا بناء تاهرت القديمة كانوا يبنون بالنهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة.."[7] وهنا نرجح أنّ السبب في ذلك هو السكان الأصليين للمنطقة لم يرحبوا بالإباضيين بينهم، مما دفعهم لهدم بنائهم.

وقال الحميري أنّ:"...وتاهرت الحديثة في قبلتها لواته وهوارة في قرارات، وفي غربها زواغة، وبجنوبها مطماطة وزناتة ومكناسة، وفي شرقها حصن هو تاهرت القديمة..."[8]

أصل التسمية:

تستمد تيارت تسميتها من تيهرت أو تاهرت وهي كلمة بربرية معناها "اللبؤة"، ويشرح ياقوت الحموي كلمة تاهرت قائلا:"...تاهرت بفتح الهاء وسكون الراء، وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، كانت قديما تسمى عراق المغرب..."[9].

وهذا لا يمنعنا من ذكر أن مدينة تاهرت عرفت عدة أسماء منها: المعصومة، عراق المغرب، تاهرت العليا وتاهرت السفلى، وأخيرا تاهرت تاقدمت.

III- الإطار التاريخي :

لقد عرفت تاهرت باعتبارها جزءا لا يتجزأ من منطقة المغرب العربي وكذا شمال إفريقيا تعاقب عدة حضارات عليها بدءا من ما قبل التاريخ بعصوره الثلاثة (القديم، الأوسط، والحديث)، والتي ينحصر امتدادها في المنطقة ما بين 8000و3000 سنة قبل الميلاد .وهذا ما دلت عليه المواقع الأثرية العديدة التي

تضمها تاهرت كموقع" خربة أولاد بوزيان" وموقع كولمناطة بدائرة الدحموني -ولاية تيارت -، وغيرها من المواقع التي لم تدرس بعد وصولا إلى عصر المعادن وما تلى فترة ما قبل التاريخية من حضارات كالفينيقية، والنوميدية والرومانية التي مازالت بعض المراكز الأثرية تقف شاهدة عليها.

وبالعودة إلى الفترة الإسلامية يمكن أن نعتبر أن تيهرت من أهم المدن التاريخية التي تم تأسيسها أو إعادة تأسيسها منذ ظهور الإسلام في المغرب الأوسط شأنها في ذلك شأن مدينة سدرا ته، تلمسان، مدن ميزاب، وقلعة بني حماد وما إلى ذلك[10] .

فبعد أن شهد المغرب العربي عدة ثورات بسبب سوء الإدارة الأموية بهذا الإقليم كثورة "المدغري الصفري المذهب" في المغرب الأقصى، و"أبي الخطاب المعافري الإباضي" في المغرب الأدنى والتي اصطدمت بمواجهة الدولة العباسية لها لإخماد نار الفتنه في المغرب وكان نتيجة ذلك انهزام أبي الخطاب ومقتله، وعلى إثر هذه الهزيمة فر أحد القادة الإباضية وهو عبد الرحمن ابن رستم الذي كان واليا على مدينة القيروان متجها غربا حيث تذكر النصوص التاريخية أن عبد الرحمان ابن رستم فر بصحبة ابنه عبد الوهاب و خادمه، وظل سائرا متخفيا سالكا طريقا وعرة إلى أن وصل إلى موضع يسمى جبل "سوفجج" أين كانت تسكن بعض القبائل البربرية، فأقام عندهم بعد أن حاصره " إبن الأشعث" أمدا ثم رفع الحصار عنه وعاد إلى القيروان لإمتناع الجبل عليه.

وعلى إثر ذلك هبط عبد الرحمان ابن رستم بعد أن أقبل إليه أنصاره من كل مكان وتقوى جانبه إلى السهل وأسس مدينة تيهرت سنة 144هـ وكانت هذه الدولة كما يقول الشيخ مبارك ." إسلامية في قضائها،عربية في معارفها،بربرية في عصبيتها، فارسية في إدارتها"

وإزدهرت تيهرت وبلغت شهرتها الأفاق، وشدت إليها الرحال للتجارة والسكن والعيش الرغيد الأمن، مما جعل الكتاب والرحالة يقصدونها ويشيدون بها ومن ذلك ما قاله المقدسي واصفا لها فيقول :"....هي بلغ المغرب، قد أحدقت بها الأنهار، وإلتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها العيون، وجل بها الإقليم، وإنتعش فيها

الغريب، وإستطابها، اللبيب، ....فكانت بلد كبير، كثير الخير، رحب، رقيق طيب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل قديم الوضع، محكم الرصف، عجيب الوصف..." وازدهرت إمارة الرستميين فأنشئت بتاهرت القصور والحصون والعمارات.

وقد إشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها، وبعدالة أئمتها وصلاحهم وتقواهم وعلمهم، وبازدهارها، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان، قال إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية " ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلاد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دار إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجدا لقرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا المسجد الكوفيين.." .

وبعد هذا العمر المديد وهذه الإنجازات الضخمة التي قدمتها الدولة الرستمية للأمة الإسلامية هجم عليها" أبو عبد الله الشيعي" داعية الفاطميين أين سقطت في سنة 296 هـ/ 909 م، وقضوا على أتباعها وفر ما بقي منهم إلى الصحراء[11].

هذا وقد شهد المغرب الأوسط بعد الدولة الرستمية توالى عدة دول وملوك بدءا من الفاطميين ثم مملكة الزيريين وزحف بنو هلال على المنطقة وما تبعه من نتائج وصولا إلى الموحدين والمرابطين الذي امتدت دولتهم فشملت المغرب الأقصى و المغرب الأوسط أيضا.

IV-نماذج من معالم أثرية بمدينة تيهرت

تعد المعالم الأثرية وثيقة رسمية توضح لنا حياة الإنسان في القديم، وتقف شاهدة على ما خلفته الأمم من تراث حضاري مازال متنصبًا إلى يومنا هذا وهي ذلك الوعاء الذي يحوي صورا ناصعة البياض تعبر عن مختلف ركائز الحياة السائدة في الماضي من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ومعتقدات دينية .

أ- المعالم الجنائزية الأجدار:

تعد المعالم الجنائزية سواء كانت قبور عادية أم أضرحة شاهدا على تاريخ الشعوب الأمازيغية أو البربرية في الفترة القديمة، إلا أن قلة الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع أدى إهمال هذا الجانب الحضاري من تراثنا القديم وعدم الاكتراث بأهمية التاريخية لهذه المعالم الجنائزية وعدم التميز بين كونها مدافن أم بناءات أم هي حجارة منحوتة فقط. فقد يتضح من خلال التقنيات الأركيولوجية المرتبطة بقبور ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا أن أسلاف البربر قد آمنوا بحياة أخرى بعد الموت، فاعتمدوا القبور الدائرية التي تشبه التلال لدفن الموتى، ويعتقد أنه تقليد يشبه الأهرامات مما يؤكد عن أفكار حضارية متأثرة بالحضارة المصرية القديمة وعلى استمرار الصلات الحضارية بين المغرب ومصر القديمة، كما هو عليه الحال في الأجدار، فهي عبارة عن أضرحة جنائزية ذات تقاليد بربرية وتعد المثال الوحيد في شمال إفريقيا.

1- الموقع:

تقع هذه المعالم جنوب غرب مدينة تيارت على بعد حوالي 30 كلم، وعلى بعد 15 كلم شمال شرق فرندة وحوالي 7 كلم جنوب شرق مدغوسة، تشغل مرتفعات جبلي لخضر والعروي المتاخمين لجبال فرندة والمشرفين على كامل سهل سرسو الممتد نحو الشرق، يبلغ عددها 13 معلما يتوزعون على مجموعتين تختلفان من حيث العمر والأهمية . تتكون المجموعة الأولى من ثلاثة أضرحة هي : A،B ،C ، وتعلو قمم جبل لخضر المحاذي للضفة اليمنى لوادي مينا والملقب بجبل لجدار، أما المجموعة الثانية المسماة ترناتن فتقع بالقرب من بلدية الحواريت وتتكون من 10 معالم هي : D،E ،F ، G،H ،I ،J ،M ،K ،L ، حيث تشكل مقبرة حقيقية تنتشر على سفوح جبل العروي الذي يبعد بحوالي 2.5 كلم عن جبل لخضر.

إن الزائر للجدار يتساءل حتما عن مغزى بناء هذه المعالم الجنائزية في هذه المنطقة الجبلية الوعرة التي تبدو اليوم جرداء وخالية من العمران، يبدو أن اختيار هذه البقاع لإقامة هذه النصب كان مدروسا، حيث أثبتت الدراسات الأثرية التي أجريت بعين المكان ملائمة الموقع، وغناه بالمقالع الحجرية التي توفر الحجر الكلسي،

والثروة المائية، وإشرافه على كل سهل سرسو الخصب والسهول العليا الغربية المتجهة نحو سعيدة . كما يظهر أن قمم جبل لخضر الغنية بالكلس استخدمت لفترة طويلة كمحاجر هامة، و يدل على ذلك بروزها اليوم على شكل كتلة صخرية واسعة بعدما فقدت ذروتها نتيجة الاستغلال الهائل للطبقات الكلسية .

إلى جانب هذا، تدل الخريطة الأثرية على أن منطقة لجدار والجهات المجاورة لها كانت آهلة في السابق بالعمران، ويشهد على ذلك أطلال وبقايا بعض المدن والعديد من النقوش المكتشفة بها.

من الواضح أن موقع لجدار المميز هو الذي جعل بناة هذه المعالم يشيدون مدافنهم في هذه البقاع، كما قد يترجم ذلك بحرصهم على أن تكون أضرحتهم في قمم المرتفعات، حتى يتسلى لهم الإشراف على البلاد التي كانوا يتحكمون فيها.

يجدر بنا أن نشير أيضا إلى غنى المنطقة بالمصادر المائية، فواد مينا و لرافديه: وادي توسنينة و جاد يجريان بالقرب من جبل الأخضر، كما توجد العديد من العناصر المائية مثل : عين القبور، عين بان، عين الغراب، عين البيضاء و عين منصور، بعضها جف والبعض الآخر لازال[12].



الخارطة رقم/2 توضح موقع لجدار في ولاية تيارت

2- أصل التسمية :

يرى بعض الباحثين أن تسمية هذه المعالم بالجدار، اشتقت من كلمة جدار أي سور وهو مفرد جدران أو جدرات، من المحتمل جدا أنها نسبت إلى هذه المعالم للدلالة على سماكة هذه المباني ومتانتها . إننا لاندري بالتحديد متى أطلقت هذه الكلمة، فهي لم ترد في نص ابن الرقيق باعتباره المصدر القديم والوحيد، بل استعملت لأول مرة في المصادر الفرنسية في النصف الثاني من القرن 19، ويدفعنا هذا إلى الاعتقاد أن كلمة لجدار المشتقة من الجدران، جاءت لتعبير عن الحالة التي آلت إليها هذه القبور، حيث لم يبق من أهراماتها الشامخة إلا بقايا آثار أو أطلال على شكل جدران[13].

كما توجد نظرية أخرى تستحق المزيد من التأمل ومفادها أن تسمية مدينة مدغوسة التي لا تبعد عن لجدار إلا بـ 7كلم لها علاقة وثيقة بكلمة مدغاسن أو ضريح المدغاسن الموجود بمنطقة تيبازة، إذ يرى صاحبها اعتمادا على التشابه اللفظي بينهما إذ أن كلمة مدغاسن حافظت على صيغتها الأمازيغية في بلاد الأوراس، بينهما تعربت لتصبح مدغوسة في الجهات الغربية المعربة. يظهر أن هذه الفرضية لها ما يدعمها في النصوص التاريخية، حيث يذكر ابن خلدون أن تسمية مدغاسن كانت تطلق قديما على الجد الأسطوري لفرع البتر، و بالتالي من غير المستبعد أنها كانت تطلق أيضا على الأضرحة التي دفنت فيها شخصيات سامية من الأعيان والأمراء المنتسبين إلى هذا الفرع، ويدل على ذلك التسمية القديمة التي حملها قبر المدغاسن حسب نص البكري[14] .

وإذا كشفت الدراسات في المستقبل صحة هذه النظرية فإنه من المحتمل جدا أن تكون مدافن لجدار قد حملت قديما اسم مادغوس أو ماداغسن ثم تحولت إلى مدغوسة لاحقا .

3 - المصادر:

يعتبر نص ابن الرقيق المصدر الوحيد الذي أشار ولد بشكل غير مباشر ووجيز إلى لجدار وبالتحديد تلك المنتشرة في جبل لخضر، وقد أورد ابن خلدون نصيه حيث يقول في النص الأول : " وزحف المنصور يريد لواته فهربوا أمامه إلى الرمال ورجع عنهم، ونزل إلى وادي ميناس ثم أنصرف إلى القيروان...... وذكر ابن الرقيق أن

المنصور وقف هنالك على أثر من أثار الأقدمين بالقصور التي على الجبال الثلاثة المبنية بالحجر المنحوت، يبدوا للناظر من البعد كأنها أسمنة قبور ...."

وفي النص الثاني : " فهربوا إلى الرمال وأقام هو على وادي ميناس وكان هنالك ثلاثة جبال كل منهم عليه قصر مبني بالحجر المنحوت...."[15]

وفي هاتين الروايتين إشارة صريحة إلى لجدار مجموعة جبل الأخضر، كما نستشف إشارة ابن الرقيق الذي عاش في القرن 10 بشكل غير مباشر إلى حالة حفظ هذه المعالم عندما يشبهها بالقصور، وهي دلالة على حفاظ المعالم الثلاثة على قاعدتها المربعة على الأقل أما التاج الهرمي المدرج فلا نظن أنه كان محافظا شكله الهندسي بدليل تشبيه الكاتب له بأسنمة قبور، أي على شكل هضبة أو حدبة مثل ما هو عليه تقريبا[16].

4- الوصف العام:

من مميزات هذه المعالم، أن لها مظهر خارجي مشترك يتمثل في :

- قاعدة مربعة أو مستطيلة يعلوها تاج هرمي مدرج ذو أربع زوايا.

- بنيت كلها بالحجر المنحوت.

- جدران القاعدة و مدرجات الهرم، تغطي حشوا داخليا يتشكل عموما من الدبش وأحيانا من بلاطات رقيقة مرتبطة فيما بينها بواسطة ملاط كلسي إذا تأملنا الشكل الخارجي للجدار يتبين أن تصميمها مستوحي من بازينات الفترة المبكرة ذات القاعدة المربعة أو المستطيلة والتاج المدرج، التي تنتشر في السهول العليا الغربية من الجزائر.

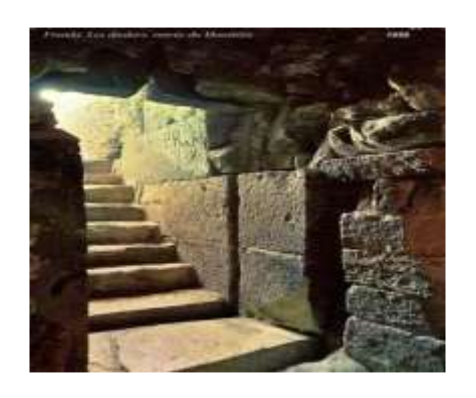
أما عن ملحقات لجدار الخارجية فيصعب القول بوجود شبه بينهما، نظر لشدة تهديمها و عدم استطاعتنا إثبات وجود مثلها الأضرحة : A،B، F اللذين لهم تقريبا نفس البناءات الخارجية وتتمثل في : الساحة، البناء الصغير، المسطحة الشرقية، الأحواض وأسوار التسييج.

وفيما يخص بنياتها الداخلية، يمكننا أن نميز نوعين مختلفين، الأول يمثله لجدار (B) في جبل لخضر و لجدار J،K، L بترنات التي لها نفس المخطط الداخلي، أي حفرة واحدة فقط مهيأة أسفل سطح الأرض، والثاني يمثله لجدار الثلاثة

المعروفة C،A ، F التي لها مخططات خاصة، تتشكل في غالب الأحيان من مدخل مهيأ في الشرق على مستوى الهرم المدرج، أروقة، ممرات وغرف.



الصورة 1 توضح منظر



الصورة2 توضح مدخل



الصورة3 توضح أحد الأروقة داخل لجدارA



الصورة4 توضح شكل أبواب الغرف في لجدارA



الصورة5 توضح منظر خارجي للجدارF



الصورة 6 أحد الغرف الموجودة داخل للجدار F





الصورتين7-8

توضحان شكل الأروقة بلجدار

ب- مدينة تاقدمت عاصمة الدولة الرستمية:

يمكن أن نذكر أن المنطقة الأثرية لتعمير منطقة تاقدمت التي اختارها عبد الرحمن بن رستم لتأسيس دولته عرفت مرحلتين تاريخيتين متميزتين هما :

المرحلة الأولى: وهي التي جاء فيها الإباضيون وعلى رأسهم عبد الرحمان ابن رستم إلى منطقة تيهرت من 144ه إلى 162ه الموافق ل 760م إلى 776م.

المرحلة الثانية: ويمثلها قيام الدولة الرستمية وإنشاء العاصمة تاهرت وذلك ما بين 160ه/760م و297ه/909م أي إلى سقوط الدولة الرستمية بتاهرت و انتقال الإباضيين إلى سدراته.

تعد مدينة تاهرت إنشاء إسلامي صاحبه عبد الرحمان إبن رستم، و أن الموضع الذي تم اختياره بالذات لم يكن عامرا من قبل بل تم العثور عليه واختياره من طرف الموفدين للبحث عن موضع يصلح لإنشاء مدينة تجمع الإباضيين، ولتدعيم هذا الرد ذكر أبو زكارياء يحي:".... أن جماعة من المسلمين اتفقوا أن ينتخبوا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا للإسلام فأرسلوا الروافد في الأرض فرجعوا فدلوهم على تاهرت...". ويضيف قائلا :" كانت تاهرت قبل ذلك غياضا عامرة بالوحوش والسباع والهوام، فلما اتفقوا على عمارتها أطلقوا فيها النيران فأحرقت النيران ما عليها من أشجار...فأخذوا في إنشائها وعمارتها فجعلوها ديارا وقصورا"، حيث بنيت قلعة تاقدمت على هضبة ترتفع ب850م فوق مستوى سطح البحر، في

سفح جبل جزول، يحدها من الشمال بلدية قرطوفة، ومن الجنوب بلدية ملاكو ومن الشرق تيارت التي تبعد عنها بـ8 كلم.

يعتبر البحث الأثري المعتمد فقط على الأطلس الأثري لستيفان كزال ناقصا خاصة لما يتعلق الأمر بالمواقع الأثرية الإسلامية، إذ يجب الاعتماد على النصوص التاريخية والأصلية التي يمكن من خلالها تصحيح الخطأ أو إضافة معلومات جديدة لهذا الأطلس.

وبالعودة إلى موقع تاهرت الأثري نجده يحتل ربوتين متقابلتين ومنخفضتين كما ذكرنا سالفا مع الإشارة إلى أن الربوة الشمالية يصل ارتفاعها إلى 862م على مستوى سطح البحر بينما يصل ارتفاع الربوة الجنوبية إلى 850م على مستوى سطح البحر، والمدينة تقع على بعد 8 كلم شمال غرب تيارت الحالية، وهي على الطريق المؤدية من تيارت إلى مشرع الصفا كما تعبرها سكة حديدية.

في الوقت الحاضر فيمكننا أن نفترض كقاعدة للبحث أن الناحية الشمالية لموقع تاهرت قد عمرت في فترة حكم عبد الرحمان ابن رستم وفي عهد خليفته عبد الوهاب في حين يكون امتداد المدينة وازدهارها واتساع نحو الجهة الجنوبية قد تم في فترة حكم أفلح بن عبد الوهاب [17].

أهم المعالم الأثرية الباقية:

- قصبة ذات شكل مستطيل 33،65م×66م والتي يمكن أن تكون المعصومة التي ورد ذكرها في النصوص التاريخية .
- مخازن المياه التي يمثلها المبنى المركب من ثلاثة أحواض.
- السور الدفاعي الذي لم يبقى منه سوى جزء صغير وجزء من برج أبراج المراقبة التي كانت موزعة على طول الجدار بمسافات متقاربة حيث كان يبعد الواحد عن الآخر بحوالي 20م.

من الآثار الهامة التي يجب التنقيب عنها نذكر مايلي :

- المسجد الجامع الذي تصفه المصادر بالمسجد ذي الأربع بلاطات.
- أبواب المدينة المعروف اسمها والتي لم يحدد موقعها الآن وهي :باب الصفا وباب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن .

- الدور والقصور الحكام في عهد الدولة الرستمية، بالإضافة إلى أسواق المدينة ولاسيما أن المنطقة عرفت بالحركة التجارية منذ القديم بسبب موقعها الجغرافي الرابط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب.



الخارطة رقم/3 توضح موقع تاقدمت في ولاية تيارت



الصورة 9 جزء من الخ القصبةA



الصورة 10 مخازن المياه

لاشك أن تيهرت مدينة عريقة،عراقة صنائعها وصناعها وقد جسد ذلك صاحب إلياذة الجزائر (مفدي زكرياء) مبرزا عبقريات أهلها في الحكم وإستلهام البناء الحضاري دون الالتفات إلى الصراعات، كما أنه أنصف المدينة وأعطاها بعدها الحقيقي في المجال الحضاري بل وأخرجها إلى دائرة الضوء، مبرزا مكانتها في بناء أمجاد الجزائر إلا أنه يبقى تاريخ مدينة تيهرت يكتنفه كثير من الغموض بالرغم

من أصالة حضارة تيهرت التي لا تزال الكثير من معالمها الأثرية تقف شاهدة على شماختها.

الهوامش:

[1]- ياقوت الحموي، ج:2 (معجم البلدان) دار صادر بيروت، لبنان، 1997، ص: 08

[2]- مختار الحساني(موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية) ج:4، مدن الغرب، دار الحكمة، 2007، ص: 286.

[3]- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص: 88 و للأستزادة ينظر المراكشي(الإستبصار في عجائب الأمصار) نشر وتعليق زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق،1981، ص: 66-67.

[4]- السيد عبد العزيز سالم (المغرب الكبير العصر الإسلامي- دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية-)،ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص:543.

[5]- اسماعيل العربي(المدن المغربية) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص: 143.

[6]- المراكشي، مصدر سابق، ص: 66-67.

[7]- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص: 88.

[8]- عبد المنعم الحميري محمد (روض المعطار في خبر الأقطار) تح: إحسان عباس، ط02، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص:143.

[9]- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص:87-88.

[10]- يحي بو عزيز(معطيات جديدة حول تاهرت تاقدمت) الملتقى الثاني للبحث الأثري و الدراسات التاريخية، أدرار من:29 .05 /02 .06 .1994م.

[11]- رابح بونار، (المغرب العربي تاريخه و ثقافته)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1962م، ص: 197.

(12)- رابح بلحسن(أضرحة الملوك النوميد والمور) دار هومة للنشر والتوزيع،الجزائر، 2002، ص149

(13)- رابح بلحسن، مرجع سابق، ص142

[14]- Fatima kadra ، (les djeddares monuments funéraires berbéres de la region de frenda) ،ED O.P.U، algérie ،1983 ،.p/08

[15]- بن خلدون عبد الرحمن (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) مراجعة سهيل زكار، ج7، دار الفكر، بيروت لبنان،2000. ص: 220

[16]- رابح بلحسن،مرجع سابق، ص149

[17]- يحي بو عزيز(معطيات جديدة حول تاهرت تاقدمت، الملتقى الثاني للبحث الأثري و الدراسات التاريخية) أدرار من:29 .05 /02 .06 .1994م.